

مسلمات في طريق العيش المشترك

بلال سعيد جراد.

جامعة الجنان - طرابلس - لبنان

كلية الآداب والعلوم الإنسانيّة

قسم التفسير وعلوم القرآن

مرحلة الدّكتوراه

WhatsApp and phone

Email: ibnrabah@hotmail .com

الحمد الله عز وجل خلق الخليقة وجعل الموت والحياة للابتلاء والامتحان، كما قال عز وجل {الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً}.وحكم بأن مصير الخلائق كلها ومردها إليه سبحانه ليجازي كلاً بما عمل كما قال عز وجل: {وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ}، والصلاة والسلام على رسول الله محمد وآله وصحبه، وبعد:ففي طريق العيش المشترك بين بني الإنسان أسس ومسلمات، أعرضها في ما يأتي:

– الأوَّل: التسليم بالتَّنَوُّع والاختلاف:اقتَضَتْ سنَّة الله جلَّ جلالُه في الكون أنَّ خلْقَ الناس مختلفون في ألوانهم، وألسنتهم، ومعتقداتهم، وأديانهم؛ مصداقًا لقوله تبارك وتعالى: {وَمِنْ آَيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ}(١).وقوله: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ * وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ}(٢).كما اقتضتْ قدرته الإلهية تعذُّر إمكانيَّة رفْع الاختلاف وإزالته بين البشر ؛ مصداقًا لقوله تعالى: {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ}(٣).قال ابن القيم: "وُقوع الاختلاف بين الناس أمرٌ ضروري لا بد منه؛ لتفاوت أغراضهم وأفهامهم وقُوى إدراكهم؛ ولكن المذموم بغي بعضِهم على بعض وعدوانه"(٤).يبين ابن القيم في هذا النص أن العطايا الإلهية للبشر _ بهذا الصدد _ تتفاوت من عدة جهات، كما أن أغراضهم تتفاوت كذلك، وهذا التفاوت في العطايا والأغراض ينتج الخلاف ضرورة.وبيان كلامه في هذا التفاوت في النقاط التالية:

١ _ تفاوت الأغراض والمطالب لكل واحد، وكذا لكل مجموعة في مذهب أو جماعة أو حزب أو بلد أو حِلف.

وهذا ولا شك يؤثر في الرأي الذي يتكوَّن في كل قضية بمفردها، مما يؤدي في الغالب إلى الاختلاف، وتتفاوت قوة هذا الخلاف بحسب قوة الغرض.ومن أمثلة ذلك: ما حصل من خلاف بين الصحابة بعد مقتل سيدنا عثمان _ رضي الله عنه _ فقد اختلفت وجهات نظرهم، في تقديم الثأر لسيدنا عثمان على مسألة الخلافة، أو العكس، وقد أدى هذا الاختلاف إلى بعض الحروب، ولا شك أنه اجتهاد من كلا الطرفين، يحصل فيه المصيب أجرين، والمخطئ أجراً واحداً.

ثم السكوت واجب عما جرى *** بينهم من فعل ما قد قدرا

فكلهم مجتهد مثاب *** وخطؤهم يغفره الوهاب.

لكنه في النهاية كان بسبب تفاوت الغرضين.

٢ _ تفاوت أفهامهم؛، أي: قدرتهم على فهم الأشياء، ولا شك أن الأفهام غير متماثلة عند جميع البشر ، ومن يجادل في هذ فقد خالف البديهي الضروري من العلم.وهذا التفاوت في النهاية يفضي إلى الاختلاف، وهذا لا يعني سقوط صاحب الرأي المرجوح تماماً.وقد ضرب الله تعالى أمثلة كثيرة لذلك في القرآن، حتى قال عن سيدنا داود وابنه سيدنا سليمان: {وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ * فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ}(٥).ويلاحظ هنا أن القصة وإن ذكرت رجاحة رأي سليمان، ووصفت قوة فهمه، إلا أنها لم تنف العلم عن داود _عليهما السلام.

٣ _ اختلاف قوى إدراكهم، وقوة الإدراك هو النظر المعتبر في الدليل، بحيث إذا عرض على العقول يتوقف الذهن عندها ، بحيث يظن المخالف أن الحق قد يكون مع خصمه ، وهو ما يسميه العلماء (قوة المدرَك). قال السبكي: «أن يقوى مدرك الخلاف، فإن ضعف ونأى عن مأخذ الشرع كان معدوداً من الهفوات والسقطات. لا من الخلافيات المجتهدات»(٦).

٤ _ أن المذموم بغي بعضهم على بعض، أي أن المشكلة ليست في الاختلاف فإنه حتمي، ولا يذم أحد على الاختلاف بالنظر في الأدلة، ولكن المذموم أن يبغي بعضهم على بعض بما يؤدي إلى التدابر والتباغض.وَجَدْنَا بالسَّبْرِ والتتبُّعِ لأحوالِ الخَلْق: أنَّ الخلافَ قلَّما ينجو مِنْ غوائلِهِ مَنْ سار عليه واتخَذَهُ طريقًا، وندَرَ أنْ يَسْلَمَ مِنْ مَغَبَّتِهِ مَنْ قلَّ عِلْمُهُ ونَزُرَ وَرَعُهُ؛ حتى قال بعضهم: إنَّ مِنَ الناسِ مَنْ يُولَعُ بالخلافِ أَبَدًا؛ حتَّى إنَّه لَيَرَى أنَّ أفضَلَ الأمورِ ألَّا يُوَافِقَ أحدًا على قَوْل، ولا يجامعَهُ على رَأْي، ولا يواتِيَهُ على مَحَبَّة، ومَنْ كانتْ هذه عادَتَهُ فإنَّه لا يُبْصِرُ الحقَّ ولا ينصُرُهُ، ولا يعتقدُهُ دِينًا ومَذْهَبًا؛ إنَّما يتعصَّبُ لرأيه، ويَنْتَقِمُ لنفسِه، ويَسْعَى في مَرْضاتِهَا؛ حتَّى إنَّك لو رُمْتَ أنْ ترضيَهُ، وتوخَّيْتَ أنْ توافقَهُ على الرَّأْيِ الذي يدعوك إليه، تَعَمَّدَ لخلافِكَ فيه، ولم يَرْضَ به حتى يَنتقِلَ إلى نقيضِ قولِهِ الأَوَّلِ؛ فإنْ عُدتَّ في ذلك إلى وِفَاقِهِ، عاد فيه إلى خِلَافِكَ!!فمَنْ كان بهذه الحالِ: فعلى اللبيبِ مُبَاعَدَتُه، والنِّفَارُ عن قُرْبِه؛ فإنَّ رضاه غايةٌ لا تُدْرَكُ، ومَدَى شَأْوُهُ لا يُلْحَقُ(٧).

قال أبو سليمان الخطابي في العزلة: قال الزجاج: كنا عند المبرد أبي العباس محمد فوقف عليه رجل فقال أسألك عن مسألة من النحو؟ قال: لا. فقال: أخطأت. فقال: يا هذا كيف أكون مخطئاً أو مصيباً ولم أجبك عن المسألة بعد؟!! فأقبل عليه أصحابه يعنفونه فقال لهم:





خلوا عنه ولا تعرضوا له، أنا أخبركم بقصته: هذا رجل يحب الخلاف وقد خرج من بيته وقصدني على أن يخالفني في كل شيء أقوله،ويخطئني فيه فسبق لسانه بما كان في ضميره[8].هذا المذكور عند خلاف العوام والدهماء، أما خلاف الأئمة والعلماء فوسمه الحق، ولهجته الصدق، ومظهره النور، ومخبره حسن القصد، وسبيله اتباع الدليل، وثمرته بلوغ التقوى.لكن المرء قد يغلب عليه طبعه، وتسيطر عليه نفسه،وتحدق به حظوظه، فلا يرى الحق إلا معه، ولا يبصر الصواب إلا في رأي إمامه ومتبوعه، فيدفعه ذلك إلى مجاوزة الحد ومجانبة الصواب،حتى ينأى به عن حدود السنة والكتاب، بل ربما دفعه ذلك إلى الاجتراء على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالوضع[9]، وليس هذا بمستغرب عليه، فإن العصبية تفعل بصاحبها الأفاعيل، وقد صح بهذا الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم البشير النذير.فعن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من أعان قومه على ظلم فهو كالبعير المتردي ينزع بذنبه"[10].أي: أعانهم على باطل أو مشكوك فيه غير متيقن منه[11]قال أبو سليمان الخطابي: معناه أنه قد وقع في الإثم وهلك؛ كالبعير إذا تردى في بئر، فصار ينزع بذنبه، ولا يقدر على الخلاص[12].وأي ظلم من المرءِ لدينه ولرسوله وللناس وللنفس أعظم من نصرة غير الحق، أو الوقوف في وجه من يدعو إليه، قال تعالى: {أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريقٌ منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون}[13].

وقال: {ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلالٌ وهذا حرامٌ لتفتروا على الله الكذب إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون}[14].

قال الإمام الغزالي: (إن الطباع مجبولة على حب الأنبياء صلوات الله عليهم، وعلى حب الصحابة رضي الله تعالى عنهم مع أنهم لم يشاهدوا بل حب أرباب المذاهب مثل الشافعي وأبي حنيفة ومالك وغيرهم حتى إن الرجل قد يجاوز به حبه لصاحب مذهبه حد العشق فيحمله ذلك على أن ينفق جميع ماله في نصرة مذهبه والذب عنه ويخاطر بروحه في قتال من يطعن في إمامه ومتبوعه فكم من دم أريق في نصرة أرباب المذاهب)[15].وقد نقل الألوسي في روح المعاني عن بعض الشافعية قوله: (وعلى المرءِ نصرة مذهبه والذب عنه وذلك بإقامة الحجج على إثباته وتوهين أدلة نفاته وكنت من قبل أحد السادة الشافعية لي غَزِيَّة[16] ولا أعد نفسي إلا منها، وقد ملكت فؤادي غرة أقوالهم، كما ملكت فؤاد قيس ليلى العامرية، فحيث لاحت لا متقدم ولا متأخر لي عنها.

أَتَانِي هَوَاهَا قَبْلَ أَنْ أَعْرِفَ الهَوَى فَصَادَفَ قَلْبًا خَالِيًا فَتَمَكَّنَا

إلى أن كان ما كان فصرت مشغولا بأقوال السادة الحنفية وأقمت منها برياض شقائق النعمان واستولى علي من حبها ما جعلني أترنم بقول القائل

مَحَا حُبُّهَا حُبَّ الأُلَى كُنَّ قَبْلَهَا وَحَلَّتْ مَكَانًا لَمْ يَكُنْ حُلَّ مِنْ قَبْلِ[17]

– الثاني: الناس جميعًا متساوُون، ولا فرْق بينهم إلا بالتَّقوى، والاعتراف بكرامة الإنسان:فقد قَرَّر الإسلام مبدأ المُساواة المطلَقة بين الناس، وردهم إلى أصلٍ واحدٍ؛ لأن ربَّهم واحد، وأباهم واحد، قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا}[18].

وقال صلى الله عليه وسلم: «يا أيُّها الناس، إنَّ ربكم واحد، وإن أباكم واحد، كُلُّكم لآدم، وآدم من تراب، إن أكرمكم عند الله أتقاكم، وليس لعربيٍّ على أعجمي، ولا أعجمي على عربي، ولا لأحمر على أبيض، ولا أبيض على أحمر فضل؛ إلَّا بالتَّقوى»[19].وهذا مما يملي على الإنسان عدم ازدراء الآخرين، يستوي في ذلك المسلم وغير المسلم، وهو مما يحدو بنا نحو معاملةٍ أسمى مع الآخرينَ، دون نظر إلى النَّفْس بزهوٍ وافتخار، وإلى الآخرين بازدراء واحتقار. وهذا وللأسف شأن بعض النابتة الذين يدَّعون العلم، حيث يحتقرون كل من خالفهم، ويرمونه بالجهل والبدعة، وربما أخرجوه من الإسلام، ودعوا إلى مقاطعته وهجره، ونفروا الناس منه، لا لشيء إلا لأنه يختلف معهم، وهذه هي الطائفية والحزبية بعينها، والتمييز العنصري بأصله وفصه.

– التعايُش دافع فِطري في النَّفس:وذلك لأنَّ الإنسان مدنيٌّ بِطَبْعه[20]، يكره العُزلة، ويميل إلى الخُلْطَة، ولا يمكن لإنسان سويّ أبدًا أن تطيبَ له الحياة وحده دون أن يألفَ الناسَ ويألفونه.ولذا أَمَرَنا الشرعُ بإلقاء السلام على مَن عرفنا، ومَن لم نعرف، وأَمَرَنا بصلاة الجماعة والجمعة، والاجتماع على عرفة في يوم واحدٍ في مكان واحد، ونهانا عن التَّدابُر والفرقة، وحَذَّر من تعاطي أسبابها.

– الثالث: التعايُش أمرٌ يُمليه الواقع:إنَّ المسلم إذا وُجِد في بيئة، لا يستطيع العيشَ بصورةٍ مستقيمة، إلا بالتَّفاعُل معهم بالقدر اللَّائق؛ إذ لا بد مِن احتياج كلِّ واحد مِن أفراد المجتمع للآخر، وهذا مما لا ينكره أحدٌ يعرف واقع الناس وطبيعة حياتهم، ولقد تفاعَل النبي صلى الله عليه وسلم مع المجتمع المدني بِرُمَّته، بمَن فيه منَ اليهود والكفَّار والمنافقينَ.وهذا التفاعُل أدَّى في النهاية إلى تحوُّل المجتمع المدني إلى بيئةٍ مسلمة خالصة في عدد قليل من السنوات، وهي نتيجة طبيعيَّة لهذا التفاعُل الذي أمر به الشرع، وحثَّ على الأَخْذ بجميع أسبابه.

– الرابع: الغرب جُزء من أمة الدَّعوة:لقد عَلِمْنا من دين الإسلام بالضرورة عموم بعثته صلى الله عليه وسلم، فهو رحمةُ اللهِ إلى العالمينَ، ورسوله إلى الناس أجمعين، الغرب والشرق في ذلك سواء؛ ولهذا شاع في المصطلحات الإسلامية تعابير : (أمة الدعوة)، و(أمة الإجابة)(٢١)فأمة الدعوة هي العالَم بأسره، وأمة الإجابة هم مَن آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم، واتَّبع النور الذي أنزل معه.وللغرب في هذه المنظومة منَ الخصوصية ما ليس لغيرهم من بقيَّة هذه الأمة، فجُذُورهم ترجع في الجملة إلى أهل الكتاب، ولأهْل الكتاب منَ الخصوصية ما ليس لغيرهم.فقدْ أباحتِ الشريعةُ طعامهم، وأحلتْ نكاح نسائِهم، بما لم تجزه مع فئة أخرى من غير المسلمين، وعقدتْ لأهل الكتاب الأمان في مجتمعاتها، وأعْطَتْهم على ذلك ذمَّة الله ورسوله، وللنصارى منهم اعتبار أخص، ورد ذِكْره في كتاب الله – عزَّ وجل – عندما قال تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آَمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾(٢٢).

– الخامس: ليسوا سواء:إنَّ القرآن الكريم ميَّز بين غير المسلمين، ولم يجعلْهم على قدمٍ سواء، فمنهم الرُّءوس والأئمة، ومنهم العامَّة وأشباه العامة، وبين هؤلاءِ وأولئك مراتب، ولكلِّ فريق منَ المعامَلة والأحكام ما يستحِقُّه.ومنَ الظلم البَيِّن أن نسلكَ الجميع في نسقٍ واحدٍ؛ قال تعالى: {لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آَمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آَمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ}(٢٣).وقال تعالى: {لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آَيَاتِ اللَّهِ آَنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ}(٢٤).

– السادس: البر والقسط هو أساس العلاقة في التعامُل مع المسالِم من غير المسلمين:برهان ذلك قول الله تعالى: {لَا يَنْهَاكُمُ اللَّه عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ}(٢٥)والبرُّ هو أعلى درجات حسن الخُلُق، ومنه بر الإنسان لأمِّه وأبيه، وقد ندبتْ إليه الآية الكريمة في التعامُل مع المسالمين من غير المسلمين، وقال تعالى: {فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا}(٢٦).ومن ذلك: كفالة حُقُوقهم، وحفظ عُهُودهم، ومواساتهم في مُصابهم، وتهنئتهم فيما لم يكنْ من خصوصيات دينهم من مناسبات اجتماعيَّة، وإقامة العلاقات السياسيَّة، والاقتصاديَّة، والاجتماعيَّة، وغيرها.ومن صور البرِّ والقسط وقوعُ التعاوُن المثمِر والعادل معهم، في كل ما يمثِّل مصلحة مشتركة للفريقين.فقد قال النبي صلى اللله عليه وسلم: «لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حِلفًا ما أحبّ أن لي به حُمرَ النّعم، ولو أُدعى به في الإسلام لأجبت»(٢٧).وقد تنشأ بعض الوشائج النَّفسية مع فريقٍ من غير المسلمين؛ لاعتبارات اجتماعيَّة؛ كقرابةٍ، أو مصاهَرة، والمصاهَرة تنشئ منَ الوشائج النفسيَّة ما لا يجحد، ولكن هذه الوشائج ليستْ من جِنْس الحب في الله، الذي جَعَلَهُ الله تعالى وقفًا على جماعة المسلمينَ.

– السابع: التعايُش منْ مُسلّمات العُقُول.قال ابنُ القَيِّم: (إنَّ قوله تعالى: {يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ}(٢٨)، يُؤَكِّد أن هذا الدِّين الذي جاء به يأمُر بما تشهد العُقُول الصحيحة بِحُسْنِه، وينهى عمَّا تشهد بِقُبْحِه، وإلَّا فلو كان كونه معروفًا ومنكرًا، وخبيثًا وطيبًا، إنَّما هو لتعلّق الأمر، والنهي به، لكان بمنزلة أن يقولَ: يأمرهم بما يأمرهم به، وينهاهم عما ينهاهم عنه، وأي فائدة من هذا؟إنَّ قبحَ الفواحش يدركه العقل؛ إلَّا أنَّ الشرعَ هو الذي يُحَدِّد العقاب)(٢٩).وبالجُملة: فإنَّ مَن يقول بالتَّحسين والتقبيح العقليينِ، يجعل أساس القِيم العقل، وهو أمرٌ مُشتركٌ بين الإنسانيَّة جمعاء، فالعَدْل حسن، والجور قبيحٌ، والصدق منقبةٌ، والكَذِب مسلبة، وهكذا بقية القِيم مع أضدادها.ولا شكَّ أن التعايُش بين المختلطين والمُتجاورين مما تستحسنه العقول إذا تجنب فيه المرءِ ما يضرُّه.ولا شك أن مثل هذا يدخل في التحسين والتقبيح العقلي، وليس في هذا تسليما للمعتزلة بما ذهبوا إليه من مطلق التحسين والتقبيح العقليين؛ لأن تحسين العقل وتقبيحه لبعض الأمور مُسَلَّمٌ عند جمهور أهل السنة، وإنما غير المسلم عندهم هو التحسين والتقبيح العقلي في الثواب والعقاب.

هوامش البحث

---

(١) الروم: ٢٢.

(٢) فاطر : ٢٧، ٢٨

(٣) هود: ١١٨، ١١٩.

(٤) «الصواعق المرْسَلة» (٢/٥١٩).

(٥) الأنبياء: ٧٨، ٧٩.

(٦) الأشباه والنظائر – السبكي» (١/ ١١٢).

(٧) . "العُزْلة" للخَطَّابيِّ بتصرُّف يسير (٥٩/١).

(٨) . العزلة للخطابي (٥٩/١).

(٩) . قال الإمام السيوطي في "ألفية الحديث": والواضعون بعضهم ليفسدا **** دينا وبعض نصر رأي قصدا

(١٠) . رواه أحمد (٣٢٩٢)، والبيهقي في الكبرى (٢٠٨٦٩).

(١١) . انظر مرقاة المفاتيح (١٢٨/٩).

(١٢) . انظر عون المعبود بشرح سنن أبي داود (١٨/١٤)، وفيض القدير للمناوي (٥١١/٥).

(١٣) . البقرة: ٧٥.

(١٤) . النحل: ١١٦.

(١٥) . انظر إحياء علوم الدين (٢٩٩/٤).

(١٦) . إشارة إلى قول الشاعر: وَمَا أَنَا إِلاَّ مِنْ غَزِيَّةَ إِنْ غَوَتْ *** غَوَيْتُ وَإِنْ تَرْشُدْ غَزِيَّةُ أَرْشُدِ

(١٧) . روح المعاني للألوسي (٣٩/١)

(١٨) الحجرات: ١٣.

(١٩) أخرجه الترمذي.

(٢٠) قال ابن خلدون في تاريخه (١ / ٥٤) في الباب الأوّل من الكتاب الأول في العمران البشري على الجملة وفيه مقدمات الأولى في أنّ الاجتماع الإنسانيّ ضروريّ، ثم قال:" ويعبّر الحكماء عن هذا بقولهم الإنسان مدنيّ بالطّبع أي لا بدّ له من الاجتماع الّذي هو المدينة في اصطلاحهم وهو معنى العمران وبيانه أنّ الله سبحانه خلق الإنسان وركّبه على صورة لا يصحّ حياتها وبقاؤها إلّا بالغذاء وهداه إلى التماسه بفطرته وبما ركّب فيه من القدرة على تحصيله إلّا أنّ قدرة الواحد من البشر قاصرة عن تحصيل حاجته من ذلك الغذاء غير موفية له بمادّة حياته منه ولو فرضنا منه أقلّ ما يمكن فرضه وهو قوت يوم من الحنطة مثلا فلا يحصل إلّا بعلاج كثير من الطّحن والعجن والطّبخ وكلّ واحد من هذه الأعمال الثّلاثة يحتاج إلى مواعين وآلات لا تتمّ إلّا بصناعات متعدّدة من حدّاد ونجّار وفاخوريّ وهب أنّه يأكله حبّا من غير علاج فهو أيضا يحتاج في تحصيله أيضا حبّا إلى أعمال أخرى أكثر من هذه من الزّراعة والحصاد والدّراس الّذي يخرج الحبّ من غلاف السّنبل ويحتاج كلّ واحد من هذه آلات متعدّدة وصنائع كثيرة أكثر من الأولى بكثير ويستحيل أن تفي بذلك كلّه أو ببعضه قدرة الواحد فلا بدّ من اجتماع القدر الكثيرة من أبناء جنسه ليحصل القوت له ولهم فيحصل بالتّعاون قدر الكفاية من الحاجة لأكثر منهم بأضعاف".

(٢١) انظر: «افتراق الأمة إلى نيف وسبعين فرقة»؛ لمحمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني.

(٢٢) المائدة: ٨٢.

(٢٣) المائدة: ٨٢.

(٢٤) آل عمران: ١١٣.

(٢٥) الممتحنة: ٨.

(٢٦) النساء: ٩٠.

(٢٧) رواه البيهقي في «السنن الكبرى»، وفي «معرفة السنن والآثار» برقم (٤٢١٣)، وانظر: «سيرة ابن هشام» (١٣٣/١).

(٢٨) الأعراف: ١٥٧.

(٢٩) «مدارج السالكين» (١/ ٢٣٤ - ٢٣٥٠).